شاكر لعيبي:
التعامل مع رحلة ابن فضلان دليل على انغلاق الثقافة العربية

المدى/ وكالات

يتهم الشاعر والباحث العراقي شاكر لعيبي الثقافة العربية الراهنة بقلة التدقيق والاعتماد على الضجيج وحضور «ثقافة الاشاعة... اذا لم نقل الاكذوبة» مستشهدا في ذلك بالتعامل «البحثي» مع رحلة أحمد بن فضلان التي تثبت «انغلاق» بعض المثقفين على معارفهم اضافة الى نكران الشرق العربي لمنجزات المغاربة.

وقال في بحث عنوانه (الاوهام الايديولوجية والتخليط بشأن رحلة ابن فضلان) ان مشرق العالم العربي يميل الى «النكران الصريح أو المتخفي لمنجزات الاخرين عجما وعربا والتستر عليها بل السعي لاطفائها» في أدب الرحلة والابداع الادبي والبحث العلمي والترجمة.

وكان بحث لعيبي مثار نقاش في (ندوة الرحالة العرب والمسلمين.. اكتشاف الذات والاخر) التي اختتمت الاحد الماضي في الرباط واستمرت جلساتها ثلاثة أيام بمشاركة نحو ٥٠ باحثا.

والندوة التي نظمها (المركز العربي للادب الجغرافي-ارتياد الافاق) ومقره في أبو ظبي ولندن تعقد سنويا في بلد عربي أو أجنبي حيث استضافتها من قبل عواصم منها الخرطوم والجزائر.

واستعرض لعيبي الجهود السابقة في اكتشاف ونشر مخطوطة رحلة ابن فضلان التي قام بها عام ٩٢١ ميلادية منذ وقعت نسخة منها عام ١٢١٥ ميلادية بين يدي ياقوت الحموي بمدينة مرو في خراسان ثم طبع المستشرق الدنمركي راسموسن عام ١٨١٤ جزءا منها نقلا عن معجم الحموي ضمن بحث له وكانت الترجمة «تعاني أخطاء قادمة جزئيا من شروط المخطوطة المنقوصة» ثم توالت ترجمات الرحلة الى كثير من اللغات الاوروبية.

وأضاف أن الباحث التركي أحمد وليدي زكي طوغان اكتشف المخطوطة عام ١٩٢٣ في متحف بمدينة مشهد الايرانية وحققها «ونشرها بالحروف العربية والترجمة الالمانية» في مدينة لايبزيج عام ١٩٣٩ كما عثر كاتبان فارسيان على مقاطع أخرى لا تتضمنها مخطوطة مشهد. ثم حقق السوري سامي الدهان «بمقدمته التأسيسية عربيا» رحلة ابن فضلان ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٥٩ ثم نشر في سوريا عام ١٩٩١ كتاب (رسالة ابن فضلان.. مبعوث الخليفة العباسي المقتدر الى بلاد الصقالبة. عن رحلته الى بلاد الترك والخزر والصقالبة والروس واسكندنافيا في القرن العاشر الميلادي) جمع وترجمة وتقديم حيدر محمد غيبة.

وأخرج الامريكي جون تيرنان عام ١٩٩٩ فيلم (المحارب الثالث عشر) بطولة أنطونيو بانديراس وعمر الشريف وهو مأخوذ عن رواية (أكلة الموتى.. مخطوط ابن فضلان عن خبرته بأهل الشمال في عام ٩٢٢ ميلادية) للامريكي مايكل كرايتون.

كما كانت الرحلة أيضا موضوعا للمسلسل التلفزيوني السوري (سقف العالم) الذي كتبه حسن يوسف وأخرجه نجدة اسماعيل أنزور عام ٢٠٠٧.

وأعاد لعيبي تحقيق الرحلة في كتاب (رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة) وصدر عن دار السويدي (ارتياد الافاق) في أبوظبي عام ٢٠٠٣ ويقع في ١٥١ صفحة كبيرة القطع.

وقال في بحثه ان التعامل العربي مع رحلة ابن فضلان دليل «كاف ومرير» على كيفية تفكير شريحة واسعة من المثقفين العرب اما بنوع من الاستهانة والكسل أو بدافع حماس أيديولوجي ضاربا المثل بكتاب (سفير عربي في اسكندنافيا منذ ١٠٠٠ عام) للمغربي أحمد عبد السلام البقالي الذي «يرى أن ما قام به كرايتون (في روايته الخيالية) هو الرحلة عينها.»

ويضيف «يبدو أن ما صدر وما كتب عن رحلة ابن فضلان لم يطفئ روح الخرافة والاشاعة وعدم التمحيص لدى شريحة كبيرة من الباحثين والكتاب والصحفيين والقراء... في فوضى الغاء مجهودات الباحثين.. تتصاعد حمى الفانتازيا بشأن الرحلة» مستشهدا بكتاب صدر في السويد (رحلة ابن فضلان. دراسة وتعليق وترجمة) العراقي سهر العامري الذي يقول فيه انه ظل لسنوات يبحث عن كل حرف يخص الرحلة «وقد تيقنت فيما بعد أن العرب لم يكتبوا الا شيئا نزرا مقارنة بما كتبه الاوروبيون عنها.»

كما يأخذ على الناقد العراقي «الفاضل» عبد الله ابراهيم قوله «بتعليقات واثقة عن الروح السردية والاخر.. انطلاقا من رواية كرايتون-غيبة التي اعتبرها نصا تاريخيا صحيحا» على عكس ما أصبح مستقرا بخصوص التعامل مع رواية كرايتون كنص روائي خيالي لا علاقة له بالرحلة الفعلية لابن فضلان.

ويصف لعيبي مسلسل (سقف العالم) بأنه «تتويج ذلك الخليط الذي أطلقه غيبة والبقالي المدعوم برواية كرايتون... هنا (في المسلسل السوري) تستعاد من جديد دون تمحيص الخرافة.»

كما يسجل أيضا أن الروائي المصري بهاء طاهر نشر عام ٢٠٠٧ مقالا يحث فيه على اعادة دراسة رحلة ابن فضلان حيث قال طاهر انه «لم يعثر في الثقافة العربية على أثر لرحلة ابن فضلان باستثناء ما كتبه الباحث السوري سامي الدهان الذي حقق المخطوط... ودراسة الباحث المصري فوزي العنتيل التي قارن فيها ما سجله ابن فضلان بما كتبه علماء التراث الشعبي.»

شاكر لعيبي

انماط الإيمان وحدود الحرية الدينية
قراءة للعدد الجديد من مجلة (قضايا إسلامية معاصرة)

المدى الثقافي

صدر العدد (٣٩- ٤٠) شتاء وربيع ٢٠٠٩ من مجلة قضايا إسلامية معاصرة، وهي المجلة التي تعنى بالهموم الفكرية للمسلم المعاصر، وتصدر عن مركز دراسات ـ فلسفة الدين في بغداد. المجلة يرأس تحريرها الأستاذ الدكتور عبد الجبار العراقي وتصدر بشكل فصلي منذ عام ١٩٩٧. صدر منها لحد الآن ٤٠ عددا بواقع ٢٧ مجلداً إذ صدرت منها بعض الأعداد بشكل مزدوج.

غني عن القول بأن المجلة تتمتع بانتشار عربي واسع، وتتم متابعتها من قبل المهتمين بتطورات الفكر الإسلامي، وطبيعة تعامل هذا الفكر مع مستجدات الحضارة الإنسانية، بكل إفرازاتها ذات العلاقة الصميمية بالإسلام كدين وفكر.

تميز هذا العدد ـ كما هو حال الأعداد السابقة ـ بملف مهم وجوهري من ملفات الإسلام المعاصر، وبتناول موسع ودقيق لبنود هذا الملف ومختلف قضاياه وشؤونه، فكان عدداً غنياً ومشبعاً بالدراسات والبحوث والحوارات المكثفة والمعنية بالحرية الدينية.

بدأ العدد بكلمة التحرير التي تمثلت بمقال للمفكر اللبناني علي حرب بعنوان: ألغام الديموقراطية في عصر التجارة الالكترونية. وقد دخل علي حرب في مقاله هذا إلى ثيمة موضوعه الرئيسية بسؤال عن حال الديمقراطية الآن، يقول: هل الديموقراطية تمر في أزمة؟ أم أنها بالعكس تنمو وتتعزز؟

وفي الإجابة انطلق حرب من رؤية تقرر الأزمة وتؤكدها، وهو مع إقراره بوجود من يتحدث عن انتصار الديمقراطية، إلا أنه يعتبر أن هؤلاء: «يتعاملون مع القضايا بلغة التبشير والترويج». خاصة وأن حال العالم من حولنا، يشي بغير الانتصار. «وإلا كيف نفسر ما نحن فيه، في واقعنا الكوني من الفوضى والاضطراب والاخفاق والعبث والجنون والإرهاب...». بل إن علي حرب يصل سريعاً للقول بأن ليست هناك عصور ذهبية للديمقراطية باعتبار أنها «ما انفكت تواجه التحديات والأزمات الطارئة أو البنيوية». ففي أوربا واجهت هذه الديمقراطية أنظمة توتاليتارية وفي العالم العربي تراجعت الديمقراطية عما كانت عليه في زمن الاستعمار.

في نهاية تحليل ممتع وعميق يصل علي حرب إلى رأي مفاده أن كل شيء يتغير بما في ذلك الإنسان، إذن فالديمقراطية هي الأخرى يجب أن تتغير، على مستوى المفاهيم والأساليب، وبسبب الأزمات والتحديات التي تواجهها. يقول في النهاية: «لا توجد فراديس على هذه الأرض. جل ما يمكن الوصول إليه، هو بناء تسويات واتفاقات هي مساومات ومصالحات. لا ننتظر حلولاً قصوى حتى لا نصدم ونفجع بالواقع».

كعادة مجلة قضايا إسلامية معاصرة فإنها دخلت لمعالجة موضوع ملفها بحوارات أجرتها مع نخبة مختصة بقضايا الحرية الدينية، وقد جاء هذا العدد غنياً بثلاثة حوارات هي:

أولاً: حدود الحرية من منظور ديني، حوار مع د. محسن كديور.

ثانياً: الإيمان والتجارب الدينية، حوار مع الشيخ محمد مجتهد شبستري.

ثالثا: الحقانية والعقلانية والهداية، حوار مع د. عبد الكريم سروش.

أما في إطار الدراسات فقد تضمن ملف المجلة ست دراسات، دارت كلها حول محور الملف الرئيس وعالجت أهم إشكالياته، وقد كانت أولى الدراسات هي دراسة د. محمد الطالبي التي انطلقت من سؤال العنوان الذي يقول: الحرية الدينية، أهي حق أم قدر بالنسبة للإنسان؟

يدخل الطالبي في معالجته للموضوع من تقسيم الحق بالحرية إلى قسمين، حق الأفراد بالحرية الدينية وحق المجتمع بها. ويتساءل، إن كانت الأولوية للفرد فعلينا أن نمنحه الحرية في ما يعتقد، ونحمي حريته هذه من ضغط المجتمع. وإن كانت الأولوية للمجتمع فعلينا أن نمنحه الحق بحماية معتقداته من خلال قمع حريات أفراده الفكرية. بالتالي ستكون عملية الحكم بقتل المرتد (مثلاً) هي نحو من أنحاء الحقوق التي تحتاجها المجتمعات لتحمي وجودها أو تماسكها.

وبين معالجة الحرية من هذه الزاوية وبين معالجتها من زاوية تقول: «أن الإيمان ما لم يكن استجابة حرة لدعوة غير مُرغمة يفقد كل معنى» ينجز الدكتور الطالبي دراسته التي تكشف أبعاداً مهمة ومفيدة جداً من أبعاد الحق بحرية الفكر والعقيدة.

تحت عنوان: (حرية العقيدة والدين في الإسلام) يأتي بحث الدكتور محسن كديور، ليثبت وعن طريق البحث والاستقصاء في الأدلة النقلية والعقلية أن الإسلام أتاح . أو ربما يتيح الآن وبحسب اتجاهات مدارس الاجتهاد . للإنسان أن يختار العقيدة التي يراها مناسبة له. ومن المهم الإشارة هنا إلى أن بحث د. كديور، يتمتع بمستوى علمي رصين وجهد بحثي واسع، لا غنى عن الإطلاع عليه بالنسبة لمن يريد أن يتعرف أكثر على وجهة النظر الإسلامية المتعلقة بهذا الموضوع. واجمل ما ينقدح في ذهن قارئ هذا البحث هو التأكد من إمكانية أن يرشح . وعن طريق تكاتف الكتاب والمفكرين الإسلاميين . مشروع إعادة بلورة الرؤية الإسلامية الأكثر اعتدالاً وإنسانية، ويأتي هذا الانفتاح كنتيجة حتمية للنصوص القرآنية التي يحشدها كديور من أجل أن يكشف حقيقة أن القول بحرية الاعتقاد في الإسلام قول يقف على أرض صلبة.

لكن من المؤكد أن هذه الدراسة لم تخلُ من بعض المشاكل خاصة فيما يتعلق بممارستها بعض الانتقائية . ربما غير المقصودة . خلال تعاملها مع نصوص القرآن الكريم.

بعد ذلك تأتي دراسة الدكتور طه جابر العلواني: (حكم الردة وعقوبة المرتد) التي تميزت هي الأخرى بالدقة والتفصيل والتوسع خاصة وأنه كان دقيقاً في تعامله مع موضوع دراسته (المرتد) إذ لم ينس أن يفتح هذا المفهوم بشكل كامل ويعرض لجميع تفاصيله ويناقش الأحكام المتعلقة بكل قسم من أقسامه. معرجاً على مناقشة الأدلة التي استند عليها القائلون بوجوب قتل المرتد مناقشة تتميز بالقوة والمتانة.

احتوى هذا العدد من مجلة قضايا إسلامية معاصرة أيضاً على الكثير من البحوث المهمة الأخرى التي لا سبيل لعرضها كلها في هذه القراءة الموجزة منها: (الإسلام وحرية الاعتقاد لجمال البنا الذي يُحَمِّل مسؤولية التوجه الإسلامي القامع للمعتقدات الأخرى، الفقهاء الذين يعتقد بأنهم جانبوا الموضوعية والأسس العلمية في استنباطهم للأدلة التي تبيح قتل المرتد، ويصل في النهاية لرأي يقول: إن الأصول التي وضعها القرآن والرسول أولى بالاتباع من أقوال فقهاء جانبوا الصواب أو خضعوا لإملاءات سياسية أو غير سياسية) ومن هذه الدراسات أيضاً: (الحرية الدينية والارتداد في الأديان السماوية للدكتورة مريم آيت أحمد). و(حرية الفكر الديني: مغامرة حوار للدكتور أسعد قطان).

كذلك تضمن العدد محاضرة هامة للانثروبولوجي الفرنسي الشهير موريس غودوليه القاها في كنيسة السيدة مريم في باريس بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٢ اوضح فيها ان فعل الايمان لم يتحقق في فراغ اجتماعي وثقافي.

وجاء الباب الختامي للمجلة كما في اعدادها الماضية ليتناول نقدا وتقويما لملف العدد الماضية كتبه الاستاذ سعدون محسن ضمد رئيس تحرير مجلة مدارك تحت عنوان(اغتصاب الاسلام : رأي في ملف الارهاب والعنف – من اين تشتق ثقافة تمجيد الموت مفاهيمها).

(تحفة العروس)
في طبعة ثانية بتحقيق العطية

المدى الثقافي

صدر (تحفة العروس ومتعة النفوس) لمحمد بن احمد التجاني . من علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي . بتحقيق الدكتور جليل العطية في طبعة ثانية وشحت بعبارة: منقحة ومزيدة، تصدرتها مقدمة مكثفة للمحقق أعاد فيها حكاية اسباب اهتمامه بتقديم نشرة علمية لهذا الكتاب المثير للجدل، والذي صدرت طبعته الاولى عن دار رياض الريس للنشر والكتب عام ١٩٩٢ ، ثم تناهبه المزورون دون علم الناشر والمحقق معا فظهرت منه عشرات الطبعات المصورة دون تنقيح او زيادة وهو ما تلافاه (العطية) في هذه الطبعة الجديدة التي جاءت في ٤٩٨ صفحة مشتملة على زيادات مهمة في تخريج النصوص الدينية والادبية والابيات الشعرية وغير ذلك.

و(تحفة العروس) موسوعة في المرأة العربية، زج فيها ابوعبدالله التجاني وهو من ائمة المالكية طائفة من الحكايات والاخبار والنوادر والاشعار التي تخص المرأة جسدا وروحاً وعقلاً وقلباً.

وعد الاسلاميون السلفيون (تحفة العروس) من كتب الجنس والاثارة وغير ذلك، في حين اعتبره علماء بارزون من كتب الادب ومن بين هؤلاء علامة تونس : حسن حسني عبد الوهاب(ت ١٩٦٨م) وعلامة الجزيرة العربية حمد عبد العزيز الجاسر (ت ٢٠٠١م).

للدكتور العطية نحو ثلاثين كتابا ونصا تراثيا محققا بينها ما يخص المرأة:

. الاماء الشواعر لأبي الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني.

. القيان لأبي الفرج الاصبهاني ايضاً .

خارج العاصمة

الجذور

محمد خضير

لا يعفي التحليل العام لحقل الأدب، وأنماط العلاقة مع السلطة، ونقد أشكال الارتباط بقوى المجتمع، الأديبَ من نقد ذاته ومراجعة الانتماءات المبكرة التي تحكمت في مساره الأدبي، والحفر في مصادر خاماته التربوية الأولية. نشأ معظم الأدباء العراقيين في أسر فقيرة ومتوسطة الحال، وتربوا على قيم الخير والعدالة والقنّاعة ببساطة العيش وكفافه، والوقوف إلى جانب المضطهدين والمستغلين والفقراء والمهمشين من أمثالهم. كانت مظاهر الاستغلال وأشكاله بسيطة وغير ملحوظة لمسها الوعي الشاب في شقاء حمالي الأسواق وكدح عمال البناء وورش الحدادة والنجارة ومكابس التمر، كما لمسها في اضطهاد النساء والعبيد الذين يخدمون في بيوت السادة. وكانت صور الحزن تتجسد في كل طريق وزاوية، الشحاذون والمشردون والمسوسون والمشوهون وغيرهم من المنبوذين والمحتقرين لأسباب اجتماعية وبشرية. وكثيراً ما ساعدت تقلبات الأيام، وهيمنة الطغاة، واحتراب الأخويات السياسية، على رسم صورة جديدة للولاء والانتماء وتقديس الرموز الطبقية والرؤوس المتحكمة في أقدار الصغار والضعفاء الذين دفعهم اليأس من صعود الهاوية إلى العزلة والبلاهة والهجرة الداخلية إلى صفوف المظلومين وإعداد النفس لتقبل أقسى الظروف. تحالف إخوان المدرسة مع عمال الجسد ورجال الشارع وموظفي الحكومة الصغار على تعظيم روح الانفصام والاغتراب والترحال بين التخوم والاندفاع نحو نهايات فاجعة في مقتبل العمر. وكم يشقّ على الأدباء الذين اختاروا إحدى السبل الصعبة، أو الذين سقطوا في مساقط الحظ العاثر، أن يكشفوا عن جذور انتمائهم المرضوض تحت سنابك الأخويات الأولى، أو انحنائهم المخزي لتأثير الجاذبيات السلطوية المتعاقبة.

نشأ الميل الأدبي المبكر في خضم صعود أيديولوجي عنيف، وتحزّب في صفوف نخب ممتازة، ثم تُرك وحيداً في عراء تفرّق الصفوف أو اندحارها. ولأن هذا الميل بلغ ذروة شبابه في ظروف انقطاع وانفصام مؤلمة، فإنه فقد القدرة على النقد والتحليل، وسلك اتجاهاً وصفياً وانفعالياً في كتابة نصوصه. نشأ الأدب العراقي اجتماعياً، انتقادياً، واقعياً تجريبياً متمرداً، ثم انحدر في خط مترنح ليستوي على خواطره الذاتية المملة، وموضوعاته الواقعية التسجيلية. وعندما اتسع الفراغ الفكري والاجتماعي، وانحلت الروابط الأخوية، دخلت المؤسسة الحكومية الراعية عنصراً حاسماً في اجتذاب الأدباء المنقطعين عن جذورهم، فكفلت معيشتهم وآنست غربتهم ويسّرت لهم فرص النشر والتوزيع والترجمة في دورها ومطابعها، وأشهرها المؤسسة الرسمية (دار الشؤون الثقافية) ومطابع الحكومة الثلاث (الحرية والجاحظ والرشيد). هيمنت المؤسسة على سوق النشر، وزاحمت الدور الأهلية في رأس مالها التجاري ودفعتها إلى الكساد والضمور.

لقد خدم أدباء التمرد الخمسينيون والستينيون وسابقوهم في مؤسسات وزارة الثقافة والإعلام وفي صحفها ومجلاتها، إلا قلة حاولت تهريب نصوصها أو تهجيرها إلى مجلات عربية (الآداب، مواقف، شعر) على سبيل الاحتجاج والاعتزاز (نشر جليل القيسي مجموعته: صهيل المارة حول العالم، في دار النهار ببيروت عام ١٩٦٨) ولجأ أدباء آخرون إلى دور نشر محلية صغيرة (الغري في النجف). وبعد هجرة النصوص جاءت هجرة الكتل الأدبية، ولم يتبق في البلاد إلا رعايا الأدب المحبوسون في قفص المؤسسة الحاكمة مع حاكميهم. صار انتقاض العلاقة مع السلطة الراعية تقليداً قهرياً دورياً ينغمر فيه أدباء ذوو مزاج تسلسلي تدميري، وغدا الشعور بالذنب والندم يعذّب الأدباء من دون استثناء، ويصطنع حالات من الاستقطاب الخفي بين مجموعة الرابحين والخاسرين بعد كل تقويض عنيف لبنية السلطة الحاكمة.

استطاع أدباء أن يوثقوا هذه التحالفات القلقة والتضادات الخفية لمراحل السقوط البنيوية في كتب تقويضية نذكر منها (الموجة الصاخبة) لسامي مهدي، و(الروح الحية) لفاضل العزاوي، وكلاهما يؤرخان لحالة العناق القهري بين الأدب والسلطة، وانفكاك هذه العلاقة في مهب الرياح السياسية وأهواء الأدباء غير المستقرة. بينما قوضت كتب أخرى مثل(ثقافة العنف) لسلام عبود، و(ثقافة الكاكي) لعباس خضر، و(الدولة اللامثقفة) لكريم عبد، أشكال العلاقة التعبوية في فترات الحروب، وهيمنة المؤسسة الأيديولوجية على روح الأديب واستلابها.

صدرت هذه الكتب في ذروة الصراع بين ذوات أدبية نرجسية أخضعت خصومها إلى تحليل عنيف في كواليس السقوط السياسي، كلما سنحت لها فرصة للهجوم عليهم. أمست الخصومات الثنائية والمساجلات الصحفية بين أقطاب الأدب المنحسرة (السياب، البياتي، كاظم جواد، الجواهري، عبد الملك نوري، عبد المجيد لطفي) جولات مخففة لصراع المجموعات الأدبية الهامشية مع سلطات سخرت قدراتها الفتاكة لتحطيم خصومها دونما رحمة، ولصراع ضحايا السلطة أنفسهم ضد أنفسهم.

خدم أدباء التمرد الخمسينيون والستينيون وسابقوهم في مؤسسات وزارة الثقافة والإعلام وفي صحفها ومجلاتها، إلا قلة حاولت تهريب نصوصها أو تهجيرها إلى مجلات عربية (الآداب، مواقف، شعر) على سبيل الاحتجاج والاعتزاز (نشر جليل القيسي مجموعته: صهيل المارة حول العالم، في دار النهار ببيروت عام ١٩٦٨) ولجأ أدباء آخرون إلى دور نشر محلية صغيرة (الغري في النجف). وبعد هجرة النصوص جاءت هجرة الكتل الأدبية، ولم يتبق في البلاد إلا رعايا الأدب المحبوسون في قفص المؤسسة الحاكمة مع حاكميهم. صار انتقاض العلاقة مع السلطة الراعية تقليداً قهرياً دورياً ينغمر فيه أدباء ذوو مزاج تسلسلي تدميري، وغدا الشعور بالذنب والندم يعذّب الأدباء من دون استثناء، ويصطنع حالات من الاستقطاب الخفي بين مجموعة الرابحين والخاسرين بعد كل تقويض عنيف لبنية السلطة الحاكمة.

متابعة

شخصيات بغدادية في الاورفلي

رمزي أدور ناري

عمان

أفتتح في جاليري الأورفلي – عمان، يوم الثلاثاء ٢٠٠٩/٥/٢٦ المعرض الشخصي رقم ٢٠ للفنان العراقي فيصل لعيبي. وتضمن المعرض الذي حمل عنوان (كلاسيك عراقي) ٢٩ لوحة تصور البيئة الشعبية العراقية. وتوزعت موضوعاتها بين الشخصيات البغدادية والمقهى والحلاق والخياطة وبائع السمك والمكوجي وصباغ الأحذية والجالغي البغدادي. وقد تفاعل الجمهور الذي حضر حفل الافتتاح والذي شكل منه الجنس اللطيف حضوراً لافتاً، بارتياح مع الشخصيات التي صورتها اللوحات الكبيرة بجماليات لونية نابضة بالحياة أعادت إليهم الحنين الدافئ للوطن.

استأثرت اللوحات التي تجسد المقهى من حيث العدد بالنصيب الأكبر (٥ لوحات). وقد توقف الحضور وقتاً أمام إحدى هذه اللوحات ؛ فالشخصيات التي يجمعها المقهى العراقي والتي تشكل موضوعاً محبباً لفيصل لعيبي، تمثل أطياف المجتمع العراقي في صورته المصغرة. ففيه يجتمع التاجر والكاسب وصباغ الأحذية وشيخ المسجد والعسكري. واللافت في هذه اللوحة الطريقة التي يتعاطاها المجتمع العراقي مع السياسة؛ فهي تصور، كما هو واضح من نسخة جريدة الثورة التي بيد الضابط الذي يحمل رتبة عسكرية كبيرة، عهد النظام السابق.

نفس هذا الضابط، الذي يجمع شاربه بين شاربي تشارلي شابلن وهتلر، يدوس بحذائه فوق جريدة الجمهورية التي كانت تنطق باسم الحكومة العراقية. بينما صحف أخرى تحمل إحداها أسم الحرية وأخرى غارقة في شعارات تلك المرحلة، أيضاً مداس عليها تحت أقدام الآخرين. لعلها رسالة من الفنان عن حقيقة الوضع السياسي الذي كان سائداً آنذاك. فقد كانت قيم الحرية مهانة تحت الأقدام ولا حياة سوى للحزب والعسكر.

نفس الموضوع يتكرر في لوحة الحلاق الذي يقف فوق جريدة الفجر الجديد. فأمثال هذا الكادح البسيط وغيره من الذين شكلوا موضوعات لوحات المعرض، لا يعرفون شيئاً عن هذا الفجر الجديد. لقد كانت جميع الشعارات التي صاغها الذين تعاقبوا على اغتصاب الحكم في العراق وبشروا بها منذ خمسين سنة وإلى يومنا هذا موضوعاً للتندر وانتهت جميعها تحت أقدام المواطن العراقي البسيط.